تـــقـــديـــم

أ . د. حسين محمد نصار

كلية الآداب – جامعة القاهرة

لا يخفى على أحد من العلماء أن العناية باللغة العربية بدأت في القرن الأول الهجري ، عندما فطن بعض النبهاء إلى ضرورة التمييز بين الحروف المتشابهة مثل الباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والخاء ... فابتكروا نظام النقط المستخدم إلى اليوم ؛ وإلى ضرورة التمييز بين حالات الرفع والنصب والجر ، فابتكروا نظاما آخر من النقط ثم تخلصوا منه إلى نظام الحركات المستخدم إلى اليوم . كما فطنوا إلى ضرورة تفسير بعض الألفاظ للأجيال الحديثة ، فكانت بواكير كتب الغريب والمعاجم ؛ وإلى ضرورة وقاية هذه الأجيال من الوقوع في الخطأ (اللحن) أصلا ، فكانت بواكير كتب النحو . وسموا المشتغلين بهذه الأمور جميعا أهل (علماء) العربية .

وتقدم الزمن فتوطدت جذور هذه الفروع ، واشتدت سوقها ، واتضحت ثمراتها ، فتميز علم اللغة عن علم النحو ، وهذان عن علم الصرف .

وتقدم الزمن ، فأنتج علم اللغة ما سموه " فقه اللغة " ، والنحو ما سموه " أصول النحو " .

وأخرجت هذه العلوم الأفذاذ من العلماء ، من أمثال الخليل وسيبويه وابن جني . وأظلِم الحقَّ العلمي عندما أكتفي بالتمثيل بعدد منهم ، وهم كثيرون . وأظلِمهم وأظلِم الحق العلمي عندما أكتفي بوصفهم بالعلماء ، وهم الأفذاذ من المفكرين ، على أي مقياس استعمل القائسون .

وأخرجت هذه العلوم الروائع من الكتب التي تحلت بالشمول أو بالعمق أو بالابتكار ، والتي تحمل في صفحاتها جذورا لمعارف كثيرة لم نكشف عنها الستر كشفا تاما – أو بعض كشف – إلا بعد تأليفها بقرون ، أو في القرن الميلادي العشرين بعد ما اطلعنا على الفكر اللغوي الأوربي والأمريكي .

فلا عجب أن يعتقد بعض أجدادنا أن هذه العلوم قد وصلت إلى التمام ، ويستحيل أن يضاف إلى ما قاله مؤلفوها شيء جديد . فصنف أحدهم العلوم إلى ما يحتاج إلى مزيد من الجهود ، وما نضج ، وما نضج واحترق . ووضع علم النحو في الصنف الأخير .

وتقدم الزمن . وأنشئت الجامعات ، والمراكز المتخصصة في اللغة العربية . وصار من المحتوم – في كل العلوم – الاطلاع الوثيق على ما عند غير العرب ، إلى جانب الإحاطة التامة بما أنتج القدماء من العرب والمتحدثين بالعربية .

وقد تم ذلك . ظهر في القرنين الأخيرين ، وبخاصة ثانيهما ، جماعة وفقوا توفيقا بعيد المدى في هذا المزج المثمر ، سواء منهم من أتم تعليمه في البلاد الأجنبية ، أو من أتم تعليمه على أيدي هؤلاء ، أو على ما أنتج العلم الجديد من كتب انتشرت في جميع أرجاء الدنيا .

فلم تبقَ الدراسات النحوية واللغوية العلومَ التي كانت عند أوائل العرب ولا أواخرهم ، بل أضيف إليها كثير من الفروع المحدثة . ولم تبقَ هذه الدراسات علما لفظيا ، بل صارت علما يمتزج بكثير من العلوم الأخرى كالاجتماع والمنطق وعلم النفس والطب ، فينتج ما لم يكن يخطر على بال .

وصاحبة الكتاب الذي أقدم له أحسنت – في قسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعة القاهرة – معرفة الجهود القديمة ، مع معرفة الجهود الحديثة غربية وعربية .

وبعد التخرج عقدت العزم على الإخلاص للدراسات اللغوية . وأدركت أن ما حصّلت غير كاف لأن يجعل منها دارسة لها وجودها المستقل . فجعلت اهتمامها ذا شقين :

يتضمن الشق الأول الإحاطة الشاملة والعميقة بجهود الأولين ، تصديقا لمقولة أستاذنا : " أول الجديد قتل القديم علما " .

ويتضمن الشق الثاني السعي وراء كل جهد علمي جديد ، أنتجه عرب أو غير عرب .

ولم تنحز لأيّ الشقين ، بل كانت من الفطنة بحيث قدّرت الجهود القديمة ، وما كان يمكن أن يعطيه زمنها . وكانت من رحابة الصدر وتفتح العقل بحيث رحبت بالجهود الحديثة . ثم أحسنت المزج بين ما حصّلت من قديم وحديث ، فطاع لها الاجتهاد .

فقد كانت رسالتها الأولى عن " كعب بن زهير : دراسة لغوية " ، واستعانت بالحاسوب – عام ١٩٧٤ – في دراسة الجانب الصرفي منها . وكانت رسالتها الثانية عن " جهود مجامع اللغة العربية في القضايا اللغوية في العصر الحديث " . واستمرت في بحوثها الأخيرة على هذا المزج الموفق .

فأخضعت – في الكتاب الذي في يد القارئ الآن – أحياز الحروف العربية ومخارجها وصفاتها في المضعف الثلاثي ، وما تخلفه من آثار في الباب الصرفي لأفعالها ، للدراسة . وهي دراسة تدور في فلك الدراسات الصرفية المعروفة وتستكملها .

وأخضعت في بحوث أخرى ظاهرة التغريب التي فشت في المجال التجاري ، وتجلت في عناوين الشركات والدكاكين ، للدراسة . وهي دراسة تحت مظلة علم اللغة الاجتماعي ، تكشف الكثير النافع علميا ، واجتماعيا ، وقوميا .

وهي في شقي الدراسة لا تتخلى عن :

الجد الذي يجعلها لا تتهاون في أي عنصر من عناصر بحثها ،

والجلد الذي يفرض عليها ألا تضن بجهد ولا وقت على ما تبحث ،

والجدة التي تسوقها إلى التعمق الذي يكشف الأبعاد ، ويصل بصاحبه إلى ما يسعى إليه من ابتكار .

ولا أخفي إعجابي بأعمال الدكتورة وفاء محمد كامل ، بل إني على يقين أن كل من يقرأ شيئا من أعمالها سيشاركني الإعجاب .

١٧ المحرم ١٤٢٢ حسين نصار

١١ أبريل ٢٠٠١

فاتحـــة :

يرجع اهتمامى بدراسة الأفعال فى العربية إلى عشر سنوات مضت، حيـــن بحثت أحوال تآلف الأصوات وتنافرها فى الفعل الثلاثى[١]. ثم رصدت أحـــوال تصـــرف الفعل الثلاثى الصحيح على الأبواب الصرفية[٢] المختلفة. وبعدها تتبعت بالدراسة أثر مخارج صوتى الفعل الثلاثى المضعف على بابه الصـــرفى، فى محاولـــة لتـــلمس القواعد التى تحكم السلوك الصرفى للفعل المضـــعف مـــع أحيـــاز صوتيه ومخارجها : فبدأت برصد هذا السلوك حين يكـــون أحـــد صـــوتيه من حيزى الحلق والشفتين[٣]، وثنَّيت برصد السلوك الصرفى للمضعف حين يكون أحد صوتيه من الأحياز الوسطية والذلقية[٤].

وفى غمـــار هـــمى بـــبحث العلاقـــة بين مخرجى صوتى المضعف واتجاهه إلى التصرف على باب صرفى بعينه، لحظت أن المخارج والأحياز ليســـت العامل الفاعل الوحيد فى السلوك الصرفى للمضعف، بل يشركها فى ذلـــك صفات الأصوات؛ ومن هنا رأيت أن أبحث العلاقة بين صفات صوتى المضـــعف وســـلوكه الصـــرفى؛ كى يمكن إلقاء الضوء على عامل آخر من عوامـــل تصـــرف الفعـــل المضعف؛ مما يساعدنا على تتبع جوهر العلائق الفاعـــلة فى ميـــل الفعـــل المضعف إلى سلوك باب صرفى دون غيره، وقد يقودنـــا إلى معـــرفة بعـــض القواعـــد التى تزيح الغموض عن هذا الجانب،

---

(١) تراكب الأصوات فى الفعل الثلاثى الصحيح – دراسة استقصائية فى القاموس المحيط – عالم الكتب – ١٩٩١.

(٢) فى بحـــث : " مدى ارتباط الفعل الثلاثى الصحيح بالمضارع المفتوح العين – دراسة إحصـــائية على القاموس المحيط " العدد ٥٨ : مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – مارس ١٩٩٣.

(٣) فى بحـــث : " البـــاب الصرفى للفعل المضعف وأحياز أصواته – دراسة فى حيزى الحلق والشفتين " مقبول للنشر بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية – جامعة الكويت.

(٤) فى بحـــث : " البـــاب الصرفى للفعل المضعف وأحياز أصواته – دراسة فى الأحياز الوسطية والذلقية – مقبول للنشر فى الكتاب التذكارى المهدى إلى أ.د. حسين نصار.

وتوضح لنا أثر تجاور صوتى المضعف على سلوكه الصرفى؛ إذ لم أجد – فيما وقع لي من مراجع – دراسة عالجت أثر أصوات الفعل المضعف على سلوكه الصرفى*.

وإذا استعرضنا آراء النحاة القدامى وجدناهم يذكرون الفعل المضعف فى معرض حديثهم عن الفعل الثلاثى المجرد، فقد ذكروا أن الفعل الثلاثى الصحيح حين يأتى ماضيه على وزن (فَعَلَ) – بفتح العين – يكون الأصل فى حركة عين مضارعه الضم أو الكسر، إلا إذا كان عينه أو لامه حلقيا، فتفتح عين مضارعه(١).

واختلفت آراؤهم فيما لم يعرف مضارعه من غير الحلقى(٢): فذهب بعضهم، ومنهم أبو زيد إلى جواز الضم والكسر فى عين المضارع، دون ترجيح لأحد الوجهين(٣)؛ فهما مستعملان فيما لا يعرف مضارعه، وليس أحدهما بأولى من الآخر فى الاستعمال(٤)، فكلاهما قياس ، ولا ضابط

---

* قدم الطيب البكوش دراسة عالج فيها دراسة علم الصرف فى العربية من خلال علم الأصوات، فى كتابه:(التصريف العربى من خلال علم الأصوات الحديث)، وهو يختلف فى المنطلق والهدف عن منطلق هذه الدراسة وهدفها.

(١) سيبويه : الكتاب ٤/١٠١٥-٢، المبرد : المقتضب ٢/١١٠، الفارابى : ديوان الأدب ٢/١٣٨-٩، ٢٢٢، ابن القطاع : أبنية الأسماء والأفعال والمصادر ٣٢٤، اللبلى : بغية الآمال : ٣٣-٤، أبو حيان : ارتشاف الضرب ١/١٥٨، السيوطى : المزهر ١/ ٢٠٧، همع الهوامع : ٣/٢٧١.

وقد ثبت– من خلال دراسة استقصائية – أن تصرف الأفعال الحلقية على باب (فتح) ليس قاعدة ثابتة أو اتجاها مطردا، ولكنه اتجاه غالب فحسب : مدى ارتباط الفعل الثلاثي بالمضارع المفتوح العين، ص ١١٧.

(٢) ديوان الأدب ٢/١٣٩، ابن القوطية : الأفعال ص ٢، أبنية الأسماء والأفعال والمصادر ٣٢٤، المزهر ١/٢٠٧، همع الهوامع ٣/٢٧١.

(٣) المقتضب ١/٢٠٩، الأفعال للسرقسطى ١/٦٠، همع الهوامع ٣/٢٧١.

(٤) تصحيح الفصيح : ٣٣، ابن يعيش : شرح المفصل ٧/١٥٢.

لاستعماله على الألسنة إلا الاستحسان وطلب الخفة[1]. كما نقل عن الجرمى قوله :

" سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يروى عن أبى عمرو بن العلاء، قال: "سمعت الضم والكسر فى عامة هذا الباب، لكن ربما اقتصر فيه على أحد الوجهين، إما على الضم كقولك : يقتُل ويخرُج، وإما على الكسر فقط، نحو : يضرِب ويغبِط "[2].

وهذا يعنى أنهم التزموا أحد الوجهين – الضم أو الكسر– فحسب فيما ورد فيه السماع بوجه واحد[3]، أما ما لم يسمع مضارعه فيجوز فيه الوجهان. وقال ابن عصفور: "هما جائزان، سمعا للكلمة، أو لم يسمع إلا أحدهما[4]". وذهب آخرون إلى أن القياس هو الكسر[5]؛ لأنه أكثر استعمالاً، فضلاً عن كونه أخف من الضم[6]، ونقلوا عن الفراء قوله : " إذا أشكل عليك يفعِل أو يفعُل فثب على يفعِل بالكسر؛ فإنه الباب عندهم "[7].

وقد يلتزمون وجها واحدا – الضم أو الكسر – فى عين المضارع؛ لكى يفرقوا بين المعانى، فى بعض ما يجوز فيه الوجهان[8].

---

(١) نقل بالمعنى عن كل من : تصحيح الفصيح :٣٦، أفعال ابن القوطية ص ٢، شرح الشافية ١١٧/١، بغية الآمال : ٣٠-٣١، الفيروزابادى : مقدمة القاموس المحيط : ص ٦-٧، المزهر ١/ ٢٠٧- ٨.

(٢) بغية الآمال : ٣١.

(٣) ابن القوطية : الأفعال ص ٢، أبنية الأسماء والأفعال والمصادر ٣٢٤، وارتضى أبو حيان هذا الرأى : ارتشاف الضرب ١٥٨/١، المزهر ٣٩/١.

(٤) الممتع ١٧٥/١، المزهر ٣٩/١.

(٥) ارتشاف الضرب ١٥٨/١.

(٦) تصحيح الفصيح : ٣٦، شرح المفصل ١٥٢/٧، الاستراباذى : شرح الشافية ١١٨/١ ، وتبعهم من المحدثين أحمد أمين فى الاشتقاق : ٢٠٦.

(٧) أبنية الأسماء والأفعال والمصادر : ٣٢٤، بغية الآمال ٣٢، ارتشاف الضرب ١/ ١٥٨.

(٨) تصحيح الفصيح ٣٦، المزهر ٢٠٨/١.

وقسم بعضهم الفعل الماضى (فعَل) – بفتح العين – إلى متعد وغير متعد[1]، وجعل مقتضى القياس فى مضارع المتعدى الكسر، كما أن الأصل فى مضارع غير المتعدى الضم[2]، إلا أنهما قد يتداخلان : فيأتي أحدهما فى موضع الآخر، وربما جاء الفعل الواحد على البابين[3].

كان هذا فى معرض حديثهم عن الفعل الثلاثى الصحيح غير المضاعف.

وحين تحدثوا عن الفعل المضاعف ذكروا أن التضعيف يثقل على ألسنتهم؛ لصعوبة نطق الحرف فالحركة بعده، ثم العودة إلى الحرف؛ فأدغموا لتكون رفعة واحدة[4].

ورأى ابن دستوريه جواز الضم والكسر فى مضارع المضعف[5].

أما اللبلى فقد قسم الفعل المضاعف المتعدى، على وزن (فَعَل)– بالفتح –إلى قسمين: أولهما: ما يتعدى بنفسه، والآخر ما يتعدى بوساطة حرف جر. وذكر أن المتعدى بحرف الجر يأتى مضارعه بالضم والكسر؛ أما المتعدى بنفسه فإن مضارعه يأتى بالضم فحسب[6].

وإن كان الفعل المضاعف لازما فإن مضارعه يأتى على (يفعِل) بالكسر[7].

وذهب أكثرهم إلى أن (يفعُل) – بضم العين – فى المضاعف المتعدى أكثر من (يفعِل) – بكسر العين – الذى هو قليل محفوظ فى المضاعف[8]، وأمثلته جاءت بالضم والكسر غالباً.

---

(١) المقتضب ٢٠٩/١، ١٠٩/٢.
(٢) ابن جنى : الخصائص ٣٧٩/١.
(٣) شرح المفصل ١٥٢/٧– ٣.
(٤) الكتاب ٤١٧/٤، المقتضب ٣٣٤/١، ٣٨١، تصحيح الفصيح ٣٧ (بتصرف).
(٥) تصحيح الفصيح ٣٧.
(٦) بغية الآمال ٧١.
(٧) المرجع السابق ٧٢.
(٨) الخصائص ٣٧٩/١، وشاركه الجوهرى هذا الرأى فى لسان العرب (ب ت ت)، (ح ب ب)، الأفعال للسرقسطى ٥٧/١، شرح الشافية ١١٦/١، ١٣٤.

كما رأى الفراء[1] والجوهرى[2] وغيرهما لزوم الكسر فى المضاعف اللازم، ولزوم الضم فى المضاعف المتعدى[3]؛ لأن الضمائر المنصوبة تتصل كثيراً بهذا النوع من الأفعال، فلو كُسِر لزم الخروج من كسرة إلى ضمتين متتاليتين، وهذا ثقيل على اللسان[4].

وقد تتبعت الدراسة خمسين فعلا مضعفا (من الهمزة إلى نهاية الثاء)[5]؛ لترى حركة عين المضارع فيها، وتحاول التحقق من ضم عين المضارع فى المتعدى، وكسرها فى اللازم – كما ذكر القدماء – فوجدت أن (يفعُل) – بضم العين – أتى متعديا فحسب فى ثمانية أفعال، وأتى لازما فقط فى أحد عشر فعلا، كما ورد لازما ومتعديا فى تسعة عشر فعلا. ولم تتصرف أربعة أفعال من العينة على هذه الصيغة. ولهذا لم تطمئن الباحثة إلى رأى القدماء الذى يربط الباب الصرفى للفعل الثلاثى المضعف بحالته من حيث التعدى واللزوم.

وحين نستعرض آراء اللغوين المحدثين فى هذا الجانب نجد إشارات عن تعدد الصيغ فى اللغة العربية، وتعليل ذلك بأن جامعى اللغة أخذوها عن قبائل مختلفة، ولم يميزوا بين لهجات تلك القبائل وبين ما ينتمى إلى اللغة الأدبية المشتركة؛ مما أدى إلى حدوث الخلط بينها. وحين يقترن تعدد الصيغة باختلاف المعنى، أو بانتماء كل صيغة من الصيغ إلى بيئة بعينها

---

(١) لسان العرب (ث ر ر).
(٢) لسان العرب (ب ت ت).
(٣) الأفعال لابن القوطية ٢، الأفعال للسرقسطى ٥٨، شرح الشافية ١/١٣٤، الممتع ١/ ١٧٤-٥، همع الهوامع ٣/٢٧٢، وتبعهم من المحدثين أحمد أمين : الاشتقاق ص ٢٠٥-٦.
(٤) همع الهوامع ٣/٢٧٢.
(٥) هى الأفعال : أب – أت – أث – أج – أح – أد – أر – أز – أش – أص – أض – أط – أف – أك – أل – أم – أن بت – بث – بج – بخ – بد – بذ – بر – بز – بس – بش – بص – بض – بظ – بع – بق – بك – بل – بن – به – تب – تخ – تر – تك – تل – تم – ثج – ثر – ثط – ثع – ثك – ثل – ثم.

يكون الأمر مفهوما، أما حين يظهر هذا التعدد مع اتحاد المعنى أو البيئة فإن الأمر يبعث على العجب[١]. ولقد حدّد إبراهيم أنيس[٢] الأسس التى يرتكز عليها اشتقاق المضارع من الماضى في ثلاثة أسس، هى :

١- المغايرة، التى أطلق عليها ابن جنى المخالفة بين صيغتى الماضى والمضارع، وهى السبب فى تغيير حركة عين الماضى من الفتح إلى الكسر أو الضم فى المضارع.

٢- وظيفة الفعل فى الكلام تلزم الفعل فى كل لهجة حركة خاصة فى الماضى. وأشار إلى تفرقة اللغويين القدامى بين حركة الفعل المتعدى وحركة اللازم، وتفضيل المحدثين تسمية الأفعال بالاختيارية والإجبارية، وملاحظتهم اختلاف الصيغة فى كلا النوعين، حيث يؤثر كل منهما حركة مختلفة.

٣- أثر الحروف المجاورة فى إيثار الحركات، وضرب مثلا لذلك بحديث الصرفيين عن إيثار حروف الحلق للفتحة، ثم أضاف إيثار حروف التفخيم للفتحة فى عين الكلمة إذا جاءت هذه الحروف قرب نهاية الكلمة التى على وزن (استفعل) فى اللهجة القاهرية.

وسجل علم الدين الجندى أن لهجة نجد آثرت صيغة (فعَل) (يفعِل)، بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع[٣].

ورأى كانتينو[٤] أن الحروف المجاورة تؤثر على أجراس الحركات، وضرب على ذلك مثلين : أحدهما أثر حروف الحلق فى اتجاه عين المضارع إلى الفتحة، والثانى أن بعض الكلمات فى اللغات السامية - غير

---

(١) إبراهيم أنيس : تعدد الصيغ فى اللغة العربية : مجلة مجمع اللغة العربية - ج ١٣ - ص ١٥٩.

(٢) من اسرار اللغة ٤٩-٥٠.

(٣) أحمد علم الدين الجندى : اللهجات العربية فى التراث - القسم الثانى - ص ٥٨٤.

(٤) جان كانتينو : دروس فى علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادى ١٨٢-٤.

العـربية- حركـتها الأصـلية كسـرة أو فتحة، ويوافقها فى العربية كلمات حركتها الأصلية ضمة؛ وذلك بتأثير حرف شفوى يقع بعد تلك الحركة.

وسـجل فى هذا الصدد أن الحروف المفخمة تؤخر مخرج الحركات المجـاورة فتصيرها فتحة خلفية، وحركة خلفية نصف منغلقة، وحركة خلفية منغـلقة. وذكر أن الحروف الشفوية، وخاصة الباء والميم، تؤثّر فى الحركات المجـاورة لها فتقربها من الضمة. كما سجل أن من هذا النوع ظاهرة انسجام الحركات، أو التماثل الحركى فى الكلمة الواحدة.

وقـد وصـف البكوش تصريف الفعل المجرد فى العربية، كما حلل صـيغ الأفعـال، وفسّر سبب ظاهرة فتح عين المضارع الحلقى بالعلاقة بين جـرس الفتحة ومخرج حروف الحلق[١]. وأشار إلى أن الواقع اللغوى يظهر أن الضم يزيد عن الكسر فى الاستعمال، كما أن الاستعمال القرآنى يدعم هذا الـرأى. وعـلل تفـوق الضم على الكسر بالتقارب الحركى، فضلا عن أن للضمة مخرجين : فهى خلفية، كما أنها أمامية من جهة استدارة الشفتين عند الـنطق بهـا، فـتكون مناسـبة لأغلب الحروف، على حين لا تلائم الكسرة الأماميـة إلا الحـروف المجـاورة لها[٢]. ورأى أن العربية تنزع إلى تغيير الحـركات لخلق نوع من التقابل والانسجام، كما تستعمل هذا التنويع الحركى فى الفعل للتمييز بين المعانى المختلفة فيه[٣].

وعـالج أحمد كشك قضية التجاور الصوتى، وذكر أن له فى اللغة ما يحكمه، ومال إلى أن الحكم على الصيغ بالكثرة والقلة حكم إحصائى، " ينبنى عـلى أسـاس من قابلية التجاور الصوتى بين حروف الكلمات، وعلى توزيع أصواتها توزيعاً عادلاً من خلال خواصها " [٤].

---

(١) الطيب البكوش : التصريف العربى ص ٩٠-٩١.
(٢) المرجع السابق : ص ٩٢- ٣.
(٣) المرجع السابق ص ٩٥-٦.
(٤) من وظائف الصوت اللغوى ١٢.

وفى دراسة عن تراكب الأصوات حاولت وفاء كامل تلمس بعض القواعد التى تحكم تنافر الأصوات فى الفعل الثلاثى الصحيح، وكان من أسباب التنافر التى توصلت إليها : اختلاف مخرج الصوتين مع تضادهما من حيث الإطباق، وبُعد مخرج الصوتين مع اتفاق الصفات فيهما. كما أبرزت الصفات الرئيسة التى تؤثّر فى التنافر الصوتى، وهى : الإطباق – وهو أقواها تأثيراً – ثم الانفتاح والرخاوة، وهما صفتان يلزم اجتماعهما – إلى جانب بُعد المخرج – حتى يتحقق التنافر الصوتى[1].

ودرس عبد الحميد عبد الواحد[2] بنية الفعل في العربية، وما يطرأ عليها من تغيرات صوتية، محاولا تبسيط مسائل الصرف، وملتزما بآراء النحاة القدامى المتأخرين ودراساتهم؛ فرأى أن التنبؤ بطبيعة حركة عين الفعل يعتمد على خصائص نحوية، تتمثل في التعدية أو عدمها. ومال إلى أن الفعل المضعف المتعدي على وزن (فعَل) بفتح العين يأتي مضارعه مضموم العين، باستثناء بعض الأفعال التي يأتي مضارعها بكسر العين أو ضمها.

ولما كانت الدراسات السابقة لم تلمس النقاط المستهدفة من هذا البحث، كان على الباحثة أن تتحقق من أثر صفات أصوات الفعل المضعف على الباب الصرفى لمضارعه، وهو ما حاولته هذه الدراسة ، وهو جانب لم يدرس من قبل – فيما أعلم.

---

(١) تراكب الأصوات فى الفعل الثلاثى الصحيح ١٦٧– ٨.

(٢) بنية الفعل : قراءة في التصريف العربي – دراسات في اللغة والآداب والحضارة – عدد ٣ – ص ٣٣

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية :

١- هـل تؤثـر صفات كل من صوتي الفعل المضعف في ورود الفعل على باب صرفي بعينه ؟

٢- هل تشكل صفات صوتي الفعل المضعف، أو بعضها، عنصرا حاسما في تحديد الباب الصرفي للفعل على لسان العرب القدامى ؟

٣- هـل يمكـن تـلمس بعض القواعد التي تسجل أثر صفات صوتي الفعل المضعف على سلوكه الصرفي ؟

عيـنة البحـث :

اعـتمدت الباحـثة القاموس المحيط للفيروزابادى؛ لاستقصاء الأفعال الثلاثية الصحيحة المضعفة التى وردت به.

خـطوات البحـث :

- استقصـت الباحثة الأفعال الثلاثية الصحيحة المضعفة التى وردت بالقـاموس المحيـط، وسجلتها مع تصريفاتها في جدول خاص، ارتكز عليه البحث : جدول رقم (١).

وحيـن وردت بعـض الأفعـال بالقـاموس بصـيغة الماضى دون المضارع[١]، استكملت مضارعها من لسان العرب لابن منظور؛ حرصاً على التثـبت مـن الـباب الصرفى. كما سجلت الأفعال فيه وفقا لترتيب ورودها بالقاموس، حيث نص الفيروزابادي على أنه قدّم المشهور الفصيح[٢].

---

(١) نـبه الفيروزابادي في مقدمة القاموس المحيط أن الفعل إذا ورد بصيغة الماضي دون المضارع، أو ورد المصدر منه فحسب، يكون بابه الصرفي هو (نصر). ولكن الباحثة آثـرت الـتدقيق في الباب الصرفي للمضارع بالرجوع إلى لسان العرب؛ كي ترتكز الدراسة على أساس سليم.

(٢) مقدمة القاموس المحيط : ص ٩.

- وسجلت الأفعال المرصودة في الجدول السابق، في جدول آخر : رصدت فيه فاء المضعف ألفبائيا، ورصدت عينه ولامه في مجموعات وفقا لأحيازها ومخارجها؛ حتى يمكن - من تحليل هذا الجدول - أن يظهر أثر حيز عين المضعف ولامه - دون فائه - في إيثار الفعل بابا صرفيا بعينه : جدول رقم (٢).

- وأعيد ترتيب الجدول رقم (٢) بحيث رتبت فيه أيضا فاء المضعف وفقا لأحيازها ومخارجها؛ وذلك لكى يتبين ما إذا كان إيثار الفعل لباب صرفي بعينه - وفقا لما ظهر من الجدول رقم (٢) - يمتد إلى أصوات فاء الفعل التي تدخل في إطار حيز واحد، أم أن هذا الاتجاه يختص به صوت بعينه - أو أكثر من صوت - في الحيز الواحد، دون أن يمتد إلى باقي أصوات الحيز : جدول رقم (٣).

- ثم صمم جدول آخر سجلت فيه أصوات فاء المضعف وفقا لأحيازها ومخارجها، مع تقسيم أصوات عينه ولامه، تبعا للشدة والرخاوة، إلى ثلاث مجموعات : الأصوات الانفجارية، ثم الاحتكاكية، فالمتوسطة (الموائع). مع ترتيب الأصوات في كل منها تبعا للمخارج: جدول رقم (٤).

- وصمم جدول آخر سجلت فيه أصوات فاء المضعف وفقا لأحيازها ومخارجها، مع تقسيم أصوات عينه ولامه تبعا لصفتي الجهر والهمس، داخل إطار كل من المجموعات الثلاث : الانفجارية والاحتكاكية والمتوسطة: جدول رقم (٥).

ثم صمم جدول أخير، أعيد فيه ترتيب أصوات عين المضعف ولامه، فصنفت وفقا لمعيارين هما : الإطباق أو الانفتاح، ثم الاستعلاء أو الاستفال. وتم ذلك أيضا في إطار تقسيم المجموعات تبعا لشدة أصواتها أو رخاوتها أو توسطها : جدول رقم (٦).

المصـــطـــلحـــات :

قـــبل عـــرض نـــتائج الـــبحث يلزم أن نحدد منظومة المصطلحات المستخدمة فيه؛ حتى لا يحدث لبس ناشئ من عدم وضوح بعضها، وهى :

المخرج[١] :

هـــو الـــنقطة التى يلتقى عندها عضوان من أعضاء النطق ليمر هواء الزفير بينهما، ويحدث الصوت.

الحيـــز[٢]:

مساحة تشتمل على أكثر من مخرج، وتكون المخارج فيها متقاربة.

الصوت المجهور[٣]:

صـــوت يكـــون معه الوتران الصوتيان متقاربين، بحيث يسبب اندفاع هواء الزفيـــر مـــن الحـــنجرة – مارا خلالهما – تذبذبا منتظما شديدا في الوترين الصوتيين.

الصوت المهموس[٤]:

صـــوت يكون معه الوتران الصوتيان متباعدين، بحيث يمر هواء الزفير في منطقة الحنجرة ، دون اهتزاز للوترين الصوتيين.

---

(١) عرفه ابن يعيش بقوله : " هو المقطع الذى ينتهى الصوت عنده ". شرح المفصل : ١٢٤/١٠.

(٢) استخدم الخليل هذا المصطلح كثيرا فى كتاب العين، ص ٦٥/٦٤.

(٣) محمود السعران : علم اللغة – دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٩٢، ص ٨٨.

(٤) عـــرّفه ابن جنى بأنه:" حرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى معه النفس": ســـر الصناعة : ١/ ٦٠. علم اللغة ٨٨. وفضّل سعد مصلوح تسميته بالصوت غير المجهور، وهي تسمية أكثر دقة : دراسة السمع والكلام – عالم الكتب – الطبعة الأولى – القاهرة ٢٠٠٠، ص ١٥٢.

الصوت الانفجاري (الشديد)[1]:

صـــوت ينتج عن التقاء تام لحظي بين عضوين من أعضاء النطق، يوقـــف تيـــار الهواء في الفم عند نقطة الالتقاء، ويتبعه تسريح سريع وفوري لهواء الزفير.

الصوت الاحتكاكي (الرخو):

صـــوت يـــنطق بحدوث تقارب شديد بين عضوي النطق، ينشأ عنه تضـــييق لممـــر الهـــواء عـــند نقطـــة المخرج، وحدوث حفيف أو احتكاك مسموع[2].

الأصوات المتوسطة[3] **(الموائع):**

أصـــوات تنطق بالتقاء عضوين من أعضاء النطق التقاء تاما، ولكن الـــنفس يجـــد له مسربا إلى الخارج، فيمر الهواء دون أن يحدث أي نوع من الصـــفير أو الحفيف المسموع، ويندرج تحتها الصوامت الآتية : اللام والميم والنون والراء، والعين- وفقا لرأي سيبويه.

الإطباق[4]:

ظاهـــرة يـــرتفع فيها مؤخر اللسان إلى الحنك الأعلى، آخذا شكلا مقعرا؛ مما يـــزيد مـــن حجم تجويف الفم، ويضيق من حجم تجويف الحلق أثناء إخراج

---

(١)عـــرّفه ســـيبويه بأنه: " الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه " : الكتاب ٤/٤٣٤، دراسة السمع والكلام: ١٧٥، علم اللغة : ١٥٣.

(٢) دراسة السمع والكلام : ١٨٤.

(٣) يعـــبر عـــنها ابن جني بقوله : " والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية..، وهي الألـــف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو " : سر صناعة الإعراب ١/ ٦١.

(٤) شرح المفصل : ١٠/١٢٨ : " والإطـــباق أن تطـــبق على مخرج الحرف من اللسان مـــا حـــاذاه من الحنك ". أو هو " ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلا فى اتجاه الطبق الـــلين، وتحركه إلى الخلف قليلا فى اتجاه الحائط الخلفى للحلق". وانظر : عمر (أحمد مختار) : دراسة الصوت اللغوى - عالم الكتب - القاهرة ١٩٩١: ٣٢٦.

الصـــوت، فيســـمع الصوت مفخما. والأصوات المطبقة[1] أربعة، هى الصاد والضاد والطاء والظاء.

الانفتاح[2] :

ضـــد الإطـــباق، ويكون تجويف الفم مع الصوت المنفتح أقل منه مع نظيره المطبق. ويندرج تحت الأصوات المنفتحة كل الأصوات غير المطبقة.

الاستعلاء[3]:

ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى، سواء أصاحبه إطباق أم لا. وتضم أصوات الاستعلاء كلا من : الخاء والغين والقاف مع الصاد والضاد والطاء والظاء.

الاستفال[4]:

ضـــد الاســـتعلاء، وهـــو انخفاض اللسان في الفم. ويندرج تحت الأصوات المستفلة كل الأصوات غير المستعلية.

الصوتان المستطيلان :

همـــا الشـــين والضـــاد، ويجمعهمـــا حيـــز واحـــد [5]، كما تجمعهما صفة الاستطالة[6].

---

(١) عـــلل ابـــن دريـــد تسمية الحروف المطبقة بقوله : " لأنك إذا نطقت بها أطبقت عليها حتى تمنع النفس أن يجرى معها ": مقدمة الجمهرة ص ٨.

(٢) استخدم سيبويه هذا المصطلح : الكتاب : ٤٣٦/٤. وهناك من يعبر عنه بالترقيق، فى مقابل التفخيم.

(٣) حـــدد ابن جني معنى الاستعلاء بقوله : " أن تتصعد في الحنك الأعلى ". سر صناعة الإعراب ٦٢/١.

(٤) استخدم ابن جنى مصطلح (الانخفاض) الذى يعبر عن المعنى نفسه. المرجع السابق: ٦٢/١.

(٥) الكـــتاب ٤٥٧/٤، المقتضـــب ١٩٢/١- ٣، ســـر صـــناعة الإعراب: ٤٧/١، شرح المفصل : ١٢٥/١٠.

(٦) الكـــتاب ٤٥٧/٤ : " وحـــرفان يخالطـــان طرف اللسان : الضاد والشين؛ لأن الضاد اســـتطالت لـــرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء "، وأيضا في شرح المفصل : ١٤١/١٠.

التفشي[1]:

يمثله صوت الشين، ويتم النطق به مع ارتفاع مقدم اللسان بصورة تسمح بحدوث احتكاك زائد (هشيش).

التكرار:

يمثله صوت الراء، وينطق بطريقة يُحدث فيها طرف اللسان سلسلة من عمليات غلق لحظية، تتخللها عناصر حركية صغيرة [2].

الخيشومية (الأنفية):

تتصف الأصوات بهذه الصفة حين يغلق تجويف الفم، ويهبط الحنك الرخو، مع السماح بمرور الهواء عن طريق الأنف[3].

الجانبية:

يمثلها صوت اللام، ويلتصق اللسان فيه مع الجزء الأوسط من أصول الأسنان، على حين تسمح حافتا اللسان الجانبيتان للهواء بالانطلاق إلى الخارج، وأحيانا يكون ممر الهواء الجانبي من جانب واحد فحسب [4].

---

(١) الكتاب : ٤٤٨/٤ " الشين تتفشى في الفم حتى تتصل بمخرج اللام "، وشرح المفصل: ١٠/ ١٢٥ : " الشين تتفشى في الفم حتى تتصل بمخرج اللام ". وفي شرح المفصل: ١٠/١٤٠ : " الشين أشد استطالة من الضاد، وفيها تفش ليس في الضاد "، وانظر: أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي - عالم الكتب - القاهرة ١٩٩١- ص ٣١٧.

(٢) ذكر سيبويه أن الصوت يجري فيه لتكريره وانحرافه إلى اللام : الكتاب ٤٣٥/٤. وذكر ابن جني أن الراء " إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير " : سر صناعة الإعراب ٦٣/١.وأيضا في دراسة السمع والكلام : ١٨١-٢، برتيل مالمبرج : الصوتيات - ترجمة محمد حلمي هليّل - عين للدراسات والبحوث - القاهرة ١٩٩٤ - ص ٩٤، علم اللغة ص ١٧١، كمال بشر: علم اللغة العام (الأصوات)- دار المعارف - القاهرة ١٩٧٠، ص ١٦٦.

(٣) علم اللغة - ص ١٦٨، الصوتيات ص ٩١، علم اللغة العام ص ١٦٧.

(٤) علم اللغة ص ١٦٩، علم اللغة العام (الأصوات): ص ١٦٦ - ٦٧، دراسة السمع والكلام : ١٨٠-٨١، الصوتيات٩٢ - ٩٣.

وقد اتبعت الباحثة ترتيب الخليـل [1] للأصوات الصامتة، كما ورد في كتاب (العين) فقسمت الصوامت إلى **المجموعات التاليـة**:

١- **أصوات الحلق** (أ ــ هـ ــ ع ــ ح ــ غ ــ خ) :

ويضـم حيـزها ثلاثة مخارج أولها : مخرج صوتين من أقصى الحلق، هما الهمزة والهاء[٢]، والثانى مخرج صوتين من وسط الحلق، هما العين والحاء، والثالث مخرج صوتين من أدنى الحلق، هما الغين والخاء.

٢- **أصوات الحنك الأعلى** : (غ ــ خ ــ ق ــ ك):

وهـذه الأصوات يجمعها حيز واحد[٣]، ويندرج تحتها صوتا أدنى الحلق (الغين والخاء) ويليهما القاف اللهوى، ثم الكاف أقصى الحنكى.

---

(١) اختـلف سيبويه في ترتيب الصوامت عن الخليل، وكان ترتيب الحروف عند سيبويه كما يلي :
الهمـزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء، والقاف والكاف، والجيم والشين والياء، والضاد، واللام والنون والراء، والطاء والدال والتاء، والزاي والسين والصاد، والظـاء والـذال والثاء، والفاء والباء والميم والواو :الكتاب ٤ /٤٣٣. وسقط مخرج اللام من طبعة الكتاب، (تحقيق هارون).
وقد اتفق ابن جني مع سيبويه في ترتيبه، واعترض على ترتيب الخليل : سر صناعة الإعراب ١ / ٤٥.

(٢) الكـتاب : ٤٣٣/٤، وفـي شـرح المفصل : ١٢٤/١٠ : " فمن ذلك الحلق وفيه ثلاثة مخـارج، فأقصاها من أسفله إلى ما يلى الصدر مخرج الهمزة ولذلك ثقل إخراجها لتباعدها، ثم الهاء ".

(٣) الكـتاب : ٤٣٣/٤ :" وأدناها (يعنى حروف الحلق) مخرجا من الفم الغين والخاء، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف مـن اللسـان قـليلا، ومما يليه من الحنك (الأعلى) مخرج الكاف ". وبالمعنى فى المقتضـب : ٣٢٨/١ وفـي سـر الصناعة : ٤٧/١، و شرح المفصل : ١٢٤/١٠، وهمع الهوامع : ٢٢٧/٢. وفى الكتاب : ٤٥٤/٤ " وبعض العرب يجرى الغين والخاء مجرى القاف ". وأيضا فى ٤٨٠/٤ : "والخاء والغين بمنزلة القاف، وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق". وذكر ابـن سـينا أن " القـاف تحدث حيث تحدث الخاء، ولكن بحبس تام.. وأما الغين فهو أخرج من ذلك يسيرا.. وأما الكاف فإنها تحدث حيث يحدث الغين وبمثل سببه، إلا أن حبسه حبس تام. ونسبة الكاف إلى الغين هى نسبة القاف إلى الخاء ": ابن سينا (أبو عـلي الحسـين) أسـباب حدوث الحروف – نسخ وتصحيح محب الدين الخطيب – المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٢ هـ : ص ١٢.

٣- **الأصوات الشجرية**[١] : (ج ــ ش ــ ض).

٤- **الأصوات الأسلية**[٢]: (ص ــ س ــ ز).

٥- **الأصوات النطعية**[٣] : (ط ــ ت ــ د).

٦- **الأصوات اللثوية**[٤] : (ظ ــ ث ــ ذ).

٧- **الأصوات الذلقية**[٥] : (ر ــ ل ــ ن).

٨- **الأصوات الشفهية** : (ف ــ ب ــ م).

---

(١) العيــن : ٦٤، الكــتاب ٤٣٣/٤ : " ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء ". واتفق معه ابن جني، فى سر صناعة الإعراب : ٤٦/١ . وفى المقتضــب قــدم مخرج الشين على مخرج الجيم : ٣٢٨/١، وذكر " أن أقرب الحــروف مــن الياء الجيم " ٣٢٩/١. وفى شرح المفصل : ١٢٤/١٠ " الجيم والشين والياء ولهــا حيــز واحد، وهو وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، وهى شجرية، والشجر: مفرج الفم، لأن مبدأها من شجر الفم.. والضاد من حيز الجيم والشين والياء ". وذكر اللسان أن ربيعة واليمن يجعلون الشين ضادا غير خالصة : مادة (م ض ط).

(٢) العيــن : ٦٤/١، وتسمى أصوات الصفير. والمقتضب ٣٢٩/١، وفى شرح المفصل: ١٢٥/١٠ : " الصاد والسين والزاى من حيز واحد، وهو ما بين الثنايا وطرف اللسان، وهى أســلية لأن مــبدأها من أسلة اللسان، وهو مستدق طرف اللسان، وهى حروف الصفير ".

(٣) العيــن: ١/ ٦٤، شرح المفصل : ١٢٥/١٠ : " والطاء والدال والتاء من حيز واحد، هــو مــا بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وهى نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى، وهو وسطه، يظهر فيه كالتحزيز ".

(٤) العين : ١ / ٦٥، وتسمى أيضا أصوات ما بين الأسنان. شرح المفصل : ١٢٥/١٠: " والظــاء والذال والثاء من حيز واحد، هو ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وهى لثوية لأن مبدأها من اللثة ".

(٥) شــاع بيــن القدماء إطلاق اسم حروف الذلاقة على ستة أصــوات هى اللام والراء والــنون والفاء والباء والميم : سر صناعة الإعراب : ص ٦٤، وشرح الشافية : ٣/ ٢٥٧-٥٨. ونســب ابــن يعيــش إلى سيبويه إطلاق اسم (حروف الذلاقة) على هذه الأصوات التى تجمعها عبارة (مر بنفــل).

ولــم تعــثــر الباحــثة فى (الكتاب) على ما يشير إلى إطلاق هذه التسمية على تلك الأصــوات. ويمكن أن يكون مرجع ذلك إلى أن الخليل، حين تحدث فى مقدمة العين عــن الحــروف الذلقية والشفوية، حددها وذكر سبب التسمية ــ وهو أن الذلاقة فى المــنطق إنمــا هى بطرف أسلة اللسان والشفتين، وهما مخرجا هذه الأحرف الستة ــ ولكنه عاد فقسم تلك الأصوات إلى أصوات ذلــيــقة هى : (ر- ل - ن)، وأصوات شفوية هى : (ب - ف - م) : مقدمة العين ص ٥٧. وقد تابع البحث هنا تقسيم الخليل للأصوات، كما ورد فى مقدمة العين ص ٦٥.

تنبيهات :

١- لما كان المضعف فى صيغة الماضى يختلط فيه كل بابين من الأبواب الآتية:

أ - (نصَر) مع (كرُم).

ب- (ضرَب) مع (حسِب يحسِب)، بكسر السين فيهما، بمعنى : ظن.

جـ- (فتَح) مع (علِم).

لاتحادهما فى صيغة المضارع؛ ولما كان القاموس المحيط يكتب ماضى الفعل المضعف للغائب ــ غالبا ــ فقد آثرت الباحثة أن تكتفى بالأبواب: (نصر) و(ضرب) و(فتح) للمضعف. على أنها نبهت فى الحاشية على صيغة الفعل الذى نص القاموس على تصرفه على باب آخر، أو نسَبَه إلى ضمير الرفع فظهر بابه الصرفى من صيغة الماضى.

٢- يمكن ألا يستدل من ندرة ورود الصوت - كما فى حالة الأصوات اللثوية (ظ ، ذ ، ث) - على ارتباط صفة الصوت بالصيغة الصرفية. ولكن هذه الندرة تعطى مؤشرا ــ على الأقل بمقارنة سلوك أصوات الحيز بعضها ببعض ــ نلحظ منه اختلاف السلوك الصرفى لها باختلاف صفاتها.

٣- اختبرت الباحثة سلوك صوتى الغين والخاء مرتين : الأولى باعتبارهما من أصوات الحلق؛ لمقارنة سلوكهما بسلوك الأصوات الحلقية الأخرى، والثانية : باعتبارهما من أصوات الحنك الأعلى؛ لمقارنة سلوكهما بسلوك هذه المجموعة.

وكان عليها أن تلجأ إلى هذا الفحص لسببين :

أ- أن القدمـــاء صنفوهما مع الأصوات الحلقية عادة، وسلكوهما أحيانا مع أصوات الحنك الأقصى.

ب- ما ظهر من جداول هذا البحث من ميل الصوتين إلى سلوك تصرف أصوات أقصى الحنك.

٤- رمـــزت الباحثة في جداول البحث لكل من الأبواب الصرفية برقم خاص هو :

(١) = نصر. (٢) = ضرب. (٣) = فتح.

- كمـــا رمزت بالعلامة * للباب الصرفي حين يرد منفردا أو مشتركا مع غيره.

٥- رأت الباحـــثة أن ترصد صفات الأصوات الصحيحة ــ كما وردت عند الخليل ــ في بداية البحث؛ تجنبا لتكرار كتابة صفات الأصوات في ثنايا نـــتائج الـــبحث، وفي تحليل السلوك الصرفي للفعل المضعف، وذلك في الجدول التالي :